التعددية الدينية والأخلاق العالمية
قراءة في أطروحات اللاهوت المسيحي المعاصر

أ. آسيا شكيرب

Le présent article assume une double tâche. Il essaye de présenter deux lectures, et deux modes de pensée au sein de la théologie chrétienne moderne, qui ont trait au rapport mutuel entre les différentes fois religieuses.
La première lecture reflète l'attitude du théologien John Hick vis-à-vis de la pluralité religieuse.
La deuxième lecture explique le projet de Hans Küng intitulé « Pour une éthique planétaire » - Weltethik- qui cherche à développer la coopération entre les religions au-delà d'une vague reconnaissance des valeurs communes.

ملخص:

تتناول هذه المقالة بالدراسة جانبا من طروحات الفكر اللاهوتي المسيحي المعاصر؛ من خلال عرضها لجانبين متمازجين متكاملين فيما بينهما: التعددية الدينية من جهة، والأخلاق العالمية من جهة أخرى؛ حيث اخترت البحث في الجانب الأول من خلال كتابات جون هك John Hick والجانب الآخر من خلال أعمال هانس كينج Hans Küng الذي جاء بمشروع عالمي للأخلاق؛ يحاول من خلاله أن يبعث القيم الدينية المشتركة؛ فيكون مصير الأديان أن تتعاون فيما بينها في ما فيه خير الإنسانية جمعاء؛ بدلا من أطروحات الصدام ونحوها من المآلات.

مقدمة :

أضحى عالمنا المعاصر قرية صغيرة فرضت نوعا من الانفتاح على الآخر، رغم اختلاف الثقافات والديانات واللغات والهويات والحضارات، وقد أسهم كل من الاقتصاد والتطور التقني في خلق هذه الرؤية الجديدة على مستوى العالم بأسره.

لقد فرضت العولمة تقبل الآخر وتبني فكر الحوار، كمحاولة لإيجاد صيغ جامعة تقلص الهوّة بين الديانات والإيديولوجيات المختلفة، وتضع أرضية مشتركة لقيم إنسانية جامعة. وقد شهد القرن العشرين

محاولات دائبة لتفعيل منهج الحوار، خاصة من الجانبين المسيحي والإسلامي، وقد عرف اللاهوت المسيحي المعاصر أطروحتين جديدتين، تختلف اختلافا جذريا عن الاطروحات اللاهوتية الكلاسيكية ويتجلى ذلك في مستويين؛ الأول يتمثل في الإعتراف بالآخر وقبول التعددية الدينية، والثاني في محاولة إيجاد وترسيخ قيم أخلاقية عالمية.

فإلى أي مدى يمكن إيجاد منهج يساعد على الانفتاح وقبول الآخر في اللاهوت المسيحي المعاصر الآخر دون التضحية بالخصوصية الدينية ؟ وهل من الممكن إيجاد حد أدنى من القيم الأخلاقية المشتركة بين الأديان تحمل طابع العالمية ؟

لقد حاولنا فك هذه الإشكالات من خلال البحث والتقصي، بمنهج القراءة التحليلية إذ نعمد من خلالها لقراءة فكر الآخر، و تفكيك عناصره، ثم إعاد تركيبها وفق منطق يخدم النهج العام للموضوع.

وقد قسمت العمل إلى مطلبين، الأول يتناول التعددية الدينية في اللاهوت المعاصر، والثاني يتناول الأخلاق العالمية، وقد اخترت نموذجين من داخل المنظومة اللاهوتية، وهما: **جون هيك وهانس كينغ**.

المطلب الأول : التعددية الدينية وقبول الآخرلدى جون هيك.

إن أهم سمات إنسان غروب القرن العشرين، وفجر القرن الواحد والعشرين هو الشك في كل القيم بهزة عنيفة تدرجت في عنفها منذ بداية النهضة، وكان من أهم أسباب هذا الشك أن تاريخ التجربة الدينية في كل الأديان مأساوي في كثير من نواحيه، وهو مصدر من مصادر النزاع والعداء، أضف إلى ذلك أن الأديان توزعت على مذاهب وملل مختلفة، وهذا أمر طبيعي أما الغير طبيعي أن يصاحب الإيمان بالأديان العنف والكراهية والصراع.[1]

لقد رآى بعض المفكرين المسيحيين المعاصرين ضرورة الخروج من هذه الأزمة التي أسهمت العولمة في تفاقمها، فاتجهوا إلى القول بالتعددية الدينية كحل أمثل، ولذلك رأوا عدم الاحتفاظ بالمقترحات اللاهوتية القديمة لأن الأمر يستدعي مراجعة الكثير من البناءات العقدية داخل كل دين.

فالتعددية الدينية والفكرية والإثنية تعد السمة المميزة للمجتمعات الغربية في العصر الراهن، فبعد الحرب الباردة وسقوط الشيوعية، أصبح أحد معايير الحضارة والتقدم واحترام حقوق الإنسان. [2]

---

[1] الأنبا يوحنا قتلة: **المسيحية والألف الثالثة**، (القاهرة: دار مصر المحروسة، 2002)، ص171،167

[2] محمد السمّاك : **مقدّمة في الحوار الإسلامي المسيحي**، ط1، (بيروت : دار النفائس، 2001م)، ص 68

أما التعددية الدينية[1] فهي من صميم الاهتمامات اللاهوتية في القرن العشرين، إبتداء من بول تيليش وكارل بارت و مرورا بكارل رانر وهانس كينغ [2]، وانتهاء بمقرات المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965م. ويرى **يوحنا قتلة** أن الدرب الوحيد للنمو والتقدم هوالحرية والعدل والمساواة هذه القيم التي تسعى الإنسانية إلى تحقيقها منذ قرون هي القضية الرئيسية للقرن الواحد والعشرين، فقبول الآخر أو قبول التعددية هو بداية فهم الحرية والعدل والمساواة. [3]

أولا: التعددية الدينية لدى جون هيك John Harwood Hick [4] .

يرى **جون هيك** اللاهوتي والفيلسوف المعاصر أن موقف اللاهوت المسيحي تجاه الأديان مرّ بثلاث مراحل تاريخية هي:

- **المرحلة الأولى:** ويتجلى فيها الموقف التقليدي القديم الرافض لباقي الأديان والحكم على غير المسيحيين بالحرمان من الحياة الأبدية.

---

[1] ظهرت أطروحات مختلفة عن التعددية الدينية نلخصها في أربعة اتجاهات، **أولها الإنسانية العلمانية،** ويمثل هذا الاتجاه كثير من الزعماء السياسيين أمثال بنيامين فرانكلين، والعلماء اللاهوتيين أمثال هارفي كوكس، وثانيها **اللاهوت العولمي**،ويتمثل هذا الاتجاه في أطروحة ولفريد ك. سميث عن إعادة النظر في مصطلح الدين وأطروحة جون هيك عن ضرورة تغيير الاتجاه من محورية الدين إلى محورية الإله، وثالثها **التوفيقية أو الانتقائية،** ويمثل هذا الاتجاه: المجتمع الإلهي والمجتمع (الثيو صوفي الذي تأسس عام 1875 في نيويورك، الولايات المتحدة، وانتقل مركزه إلى أديار – ناحية من نواحي مدراس– عام 1882)، وراماكرشنا، وسوامي ويويكانندا، والماهاتما غاندي، والحكمة الخالدة. (عبد الرحمان الحاج : **التعددية الدينية بوصفها حلا للصراع الطائفي وأداة له،** (جريدة الغد اللأردنية، الأحد 15تشرين الثاني 2009م)

[2] سيأتي التعريف به لاحقا

[3] **المسيحية والألف الثالث،** ص175.

[4] هوأستاذ ولاهوتي وفيلسوف في الدين، ولد في انجليترا سنة 1922 وتوفي في فبراير 2012م، واهتم بالفلسفة والدين منذ صغره درس للحصول على درجة حقوق في جامعة **هل** وتحول إلى المسيحية الإنجيلية ثم التحق بجامعة إدنبرة في 1941م. استدعي ليقاتل بسبب الحرب العالمية الثانية، لكنه رفض القتال لأسباب أخلاقية. قدم مساهمات في الثيولوجيا الدينية عن الكريستولوجيا والإسكاتولوجيا، وقد قدم في فلسفة الدين مساهمات في إبستمولوجيا الدين والتعددية الدينية.

Gérard Reynal : **Dictionnaire des théologiens et de la théologie chrétienne**, (Centurion : Bayard Editions, 1998), p 221

- **المرحلة الثانية:** وتعبر عن الجمع بين حصرية الخلاص داخل الكنيسة وبين إمكان الخلاص خارج الكنيسة، فالله المحب لا يمكن أن يحرم أكثرية الناس من الخلاص.
- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الوعي بواقع التعددية الدينية، والتي تحمل في ذاتها مقومات استقامة وتربية تَقَوِيَّة تضع الإنسان على سكة الخلاص، وتظهر الأديان في وضعيتها الجماعية والمنظومية وليس فقط في تمظهرها الفردي، ورغم ذلك احتفظت الكنيسة بالمقابل بتفوق المسيحية وفرادتها، وقد كان **كارل رانر** من رواد تلك المرحلة حيث قدم في عام 1961م، مقالته حول الانتماء المجهول للمسيحية (Unanimous Christianity) التي تعني أن المسيحية تعتبر غير المسيحيين ضمن دائرة النعمة الإلاهية، لأنهم مسيحيون ضمنيون، ثم جاءت أطروحة هانس كينج الجريئة التي قدمها في عام 1964 في مؤتمر " **الوحي المسيحي والأديان غير المسيحية**" في بومباي، واعتبر فيها أن الأديان غير الكاثوليكية هي طرق عادية للخلاص، (Ordinary) للخلاص في حين تمثل الكنيسة الكاثوليكية طريقا فوق عادية (Extraordinary) لخلاص البشر، وبذلك يمكن لأي إنسان أن يحصل خلاصه عن طريق الدين المتوفر لديه داخل البيئة الثقافية والظرف التاريخي المتواجد فيها. [1] أما **شلايرماخر**[2] فيذهب إلى القول بـ "الدين العالمى"، ووضع نظرية له فى كتابه "**أحاديث عن الدين**" ودافع عنها فى هذا الكتاب، الذى يضم كل أنواع المعتقدات والعبادات وأصبح من المستطاع انطواء جميع "كفار" العصور الغابرة تحت لواء هذا المثل الدينى الأعلى. وذكر **شلايرماخر** أن سائر الاختلافات الدوجماطيقية تبدو غير ذات موضوع فى نظر أى مشاعر دينية حقة. فالدين محبة، ولكن هذه المحبة لا تتجه إلى هذا أو ذاك أو إلى موضوع متناه أو خاص، أنها تتجه إلى العالم، إلى اللاتناهى . [3]

---

[1] وجيه قانصو: **التعددية الدينية في فلسفة جون هك– المرتكزات المعرفية واللاهوتية–**، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007)، ص 53-54

[2] لاهوتي بروتستانتي وفيلسوف ألماني، ولد في Breslan ببرلين في 21 نوفمبر 1768م، وتوفى سنة 1834م، درس في جامعة Halle اللاهوت والتفسير، من أهم أفكاره أن العقيدة ليست حقيقة من الله. يعتبر المؤسس الحقيقي للهرمونوطيقا المعاصرة L'herméneutique moderne

François Bonifas : **La doctrine de la rédemption dans Schleiermacher**, (Ch. Meyrueis, (1865), p 7-8)

[3] أرنست كاسيرر : **الدولة والأسطورة** ، ترجمة : أحمد حمدى محمود ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م) ، ص 247 ، 248 .

ثانيا : فلسفة التعددية لدى جون هيك.

إن التعددية الدينية لدى هيك تبلورت انطلاقا من قناعته أن جميع الأديان تحوي على أشياء جيدة مثلما يوجد في الكتاب المقدس. كما أنها وسيلة للتوفيق بين حب الإله وبين حقيقة التنوع الحضاري والديني، وقد أعلن هيك بأن الكائن الإلهي هو ما يدعوه **فوق التصنيف**، فالبشر يتعاملون مع الإله بواسطة الأصناف، لكن الإله نفسه يصدهم بطبيعته[1].

يعتقد **هيك** متأثرا بكانت بأن الاعتقادات الدينية المختلفة صيغت لحد كبير بالأصناف التي قدمتها الطبيعة. و يقدم هيك العديد من الأدلة ضد الحصرية المسيحية، التي تتمحور حول الذات وترى بأن الأديان الأخرى قد تحوي بعض الحقيقة والخير. أما النجاة فهي غير ممكنة إلا بشخص المسيح، وأن الحقيقة كاملة موجودة فقط في المسيحية. [2]

و يرجع جون هيك اختلاف المعتقدات بدرجة كبيرة إلى مكان الولادة، ولا يمكن محاسبة الناس بسبب ذلك، فقد يولد شخص في الهند لأسرة هندوسية مما يجعله على الأرجح هندوسيا ، ومن يولد في السعودية يصبح مؤمنا بدين الإسلام. فالدين يعتمد على مكان ولادة الشخص في الغالب، وهذا أكبر دليل يهدم فكرة المسيحية الحصرية. [3]

يرى رائد التعددية الدينية **جون هك** أنه هناك شيء واحد يجمع الأديان كلها ويمثل مقاصدها وغاياتها، فرغم اختلاف اللغة والقواعد والأعمال والعبادة والنظم الأخلاقية بين الأديان، إلا أن شيئا واحدا يحصل فيها جميعا، وهو أن البشر يتلاقون ضمن إطار ديني لفتح قلوبهم على الله ولغرض احقاق العدل وحب الفضيلة والخير والعيش بتواضع، ففي كل الأديان هناك خير إنساني عام يعكس العلاقة القويمة مع الله. [4]

---

[1] Pierre Gisel, Lucie Kaennel : **Encyclopédie du protestantisme**, (Paris : Cerf, 1995), p 667

[2] **Marc Boss**, **Doris Lax**, **Jean Richard** : Mutations religieuses de la modernité tardive: **actes du XIVe Colloque International Paul Tillich**, **Marseille**, **2001**, **p 232**

[3] Ibid, op cit, p233

[4] وجيه قانصو: **التعددية الدينية في فلسفة جون هك**، ص50.

ويعتقد هيك أن العقيدة التقليدية للمسيحية، والتي تشتمل على التجسد و الطبيعة اللاهوتية والناسوتية للمسيح، والتثليث، والخلاص، وعصمة النصوص هي ضحايا التفكير الإنساني، ولهذا السبب يقول: " يمكنكم الإيمان بهذه العقائد، لكن لا تفرضوا مثل هذه التضحية على طلبتكم " [1]

لا شك أن للكنسية التقليدية موقفها من آراء كينغ، فهي ترفض أي تحول في المعتقدات المسيحية وفي المفاهيم الأساسية، وفي النهج العام في التعامل مع الآخر.[2]

يقول دونالد كاغصون Donald Carson : " إن المسيح الذي يقترحه هيك مختلف تماما عن مسيح العهد الحديد " [3]

ونستخلص مما سبق ظهور أطروحات جديدة في اللاهوت المسيحي المعاصر، يأتي على رأسها الدعوة لقبول التعددية الدينية، التي تتيح من خلال توسيع دائرة الخلاص الانفتاح على الآخر وقبوله، وتقليص احتكار الحقيقة .

المطلب الثاني : الأخلاق العالمية حسب هانس كينغ Hans Küng [4].

---

[1] **Seung-goo LEE** : Pluralisme religieux et christianisme- Avec une référence spéciale à l'interprétation du pluralisme religieux de John Hick- , **La Revue réformée – revue de théologie de la Faculté Jean Calvin –** (**http**://**larevuereformee**.**net**/**articlerr**/**n249**/**pluralisme-religieux-et-christianisme**)

[2] Ibid, op cit.

[3] Ibid, op cit.

[4] ولد ب *Luzern* في سويسرا عام 1928م، تعلم في جامعات روما الكاثوليكية. درس علوم الفلسفة واللاهوت في جامعة الجريجوريانا التابعة للآباء اليسوعيون، كما درس في جامعة السوربون المعهد الكاثوليكي في باريس، حصل على دكتوراه في اللاهوت سنة 1957م وقد رسّم أستاذا لعلوم اللاهوت والعقيدة سنة 1960م في الجامعة الكاثوليكية Eberhard Karlفي توبنجين Tübingen، كما قام بإدارة معهد الأبحاث الدينية ودعي للتدريس بصفة أستاذ ضيف في عدة جامعات أميركية وسويسرية.

Jean-Pierre Castel : **Le déni de la violence monothéiste**, (Editions L'Harmattan, 2010), p 34 et **André Mandouze** : Un chrétien dans son siècle, (**Karthala Editions**, **1 déc**. **2007**), **p 281**

يعتبر هانس كينغ اللاهوتي الكاثوليكي السويسري المعاصر، صاحب مشروع " الأخلاق العالمية " ظاهرة تستدعي الوقوف عندها، فحياته كانت فصولا من الثورة الفردية على قوالب المجامع الكاثوليكية، فقد اختاره البابا يوحنا الثالث والعشرين **Ioannes XIII** له كواحد من أهم مستشاريه. وهذا البابا هو الذي دعا إلى انعقاد ما عرف لاحقا بالمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[1]. وقد كان هذا المجمع بمثابة نقلة فكرية غير مسبوقة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية وبداية انطلاقه لها في العالم نحو الحوار مع الآخر وهو التيار الذي دعمه كينغ ولا يزال بكل قوة، لا سيما فيما يختص بالحوار بين الأديان، وفي ديسمبر 1979 وبعد عدة جدالات مع روما وخاصة مع مجمع عقائد الإيمان la congrégation pour la doctrine de la foi سحبت من هانس كينج المسيو كاثوليكا missio canonica – وهي الاعتراف الرسمي للكنيسة الكاثوليكية بأهلية تدريس اللاهوت الكاثوليكي – [2]، ويعود السبب الرئيس للخلاف بينه وبين الفاتيكان نشره لكتاب " معصوما من الخطأ "[3]. وقد حاول فيه رفض مذهب المعصومية البابوية، باعتبارها وظيفة من ابتكار البشر، ليست مؤسسة من قبل الله، ولهذا يمكن إلغاؤها. [4] وبعد هذا الصراع مع الفاتيكان وضع كينج مشروع الأخلاق العالمية الذي كان له الآثر الفاعل في ترسيخ منهج الحوار المسيحي الإسلامي في عالمنا المعاصر.

أولا : مفهوم الأخلاق العالمية وتطوره

---

[1] **هو مجمع كنسي كاثوليكي يعتبر المجمع المسكوني الحادي والعشرون . انعقد هذا المجمع بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرون بين عامي1962 م – 1965م ، وقد صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني العديد من المقررات والدساتير والمراسيم. ويمكن القول أنه كان مكملاً لما عجز المجمع الفاتيكاني الأول عن إتمامه، وهذا بسبب سقوط روما1870 م، مما أدى لوقف أعماله آنذاك تمخض عن المجمع إصلاحات مختلفة في جسم الكنيسة كان أبرزها التخلي عن استعمال اللاتينية في الصلاة وإبدالها باللغات المحلية، والاقرار بالحركة المسكونية وغيرها** (**E. Louchez** IV. Inventaire Des Fonds J. Dupont Et B. Olivier: Concile Vatican II Et Eglise Contemporaine,(Peeters Publishers, 1 janv. 1995), p 8-9)

[2] **Jean-Pierre Castel** : Le déni de la violence monothéiste, (**Editions L'Harmattan**, **2010**) , **p34**

[3] راجع كتاب : Hans Kung : **Infillible ? une interpellation**, (Descellée de Brouwer, 1971)

[4] **Andre Naud** : Les dogmes et le respect de l'intelligence: plaidoyer inspiré par Simone Weil, (**Les Editions Fides**, **2002**), **p 142**

1- مفهوم الأخلاق العالمية : هناك فرق بين " **الأخلاق العالمية** " " **Éthique mondiale** " **والأخلاق الكلية** " **Éthique universelle** " ، فالأخلاق الكلية يقصد بها " الأخلاق التي تولّى المفكرون والفلاسفة وضع أصولها وترتيب قواعدها على أساس أنها أخلاق عقلية وموضوعية، بحيث يتعين على كل فرد إنساني الأخذ بها متى أراد الاستقامة في سلوكه أو طلب السعادة في حياته، وانضرب عليهما مثالين هما : **أخلاق الواجب** التي أنشأها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط Immanauel Kant ، وأخلاق المنفعة التي وضع أركانها الفيلسوف والقانوني الانجليزي جيريمي بنتهام Jeremy Bentham ووسعها خلفه الفيلسوف الإنجليزي جون استوارت مل John Stuart Mill [1]"

أما الأخلاق الكلية فتتصف بصفات ثلاث أساسية، فهي أخلاق نظرية في طبيعتها، يتم استنباطها بالنظر العقلي المجرّد من مبادئ مسلّم بها، كما أنها أخلاق أحادية في مصدرها، يستقل بها الفيلسوف، ولا تيقيد في وضعها بحصول الاتفاق عليها مع غيره. كم أنها أخلاق عَلمانية في توجهها، إذ إنّ واضعها يتجنب أن يبني أحكامه ونتائجه على مسلمات ذات مصدر ديني، أخذا مباشرا أو ظاهرا. [2]

أما الأخلاق العالمية، فليست بهذه الأوصاف قط، بل هي تتصف بأضدادها، فهي أخلاق ذات طبيعة علمية، إذ تستقرأ من التجربة الأخلاقية الحية للإنسان، كما أنها ذات مصادر متعددة، حيث تشترك أطراف عديدة في تحديد قواعدها وأحكامها، ومن أهم صفاتها كونها ذات توجه ديني، فهي تستقي قيمتها ومبادئها من الأديان المختلفة. [3]

2- تطور مفهوم الأخلاق العالمية : ظهرت بوادر التفكير في أخلاق تجمع أمم العالم في إطار النشاط الحواري الذي مارسته مختلف التيارات الدينية منذ المؤتمر العالمي الأول للأديان في شيكاغو سنة 1893م، والذي عرف فيما بعد ببرلمان أديان العالم، وهذا من أجل الاحتفال بالتقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققته الحداثة والتي اعتبرت الأخوة الدينية أهم ثماره.[4] وأما المؤتمر الثاني ل " برلمان أديان العالم " فقد عقد بعد مضي

---

[1] طه عبد الرحمن : **الأخلاق العالمية مداها وحدودها**، (أبو ظبي: مؤسسة طابا، عدد 1، يونيو 2008م)، ص9 .

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] المرجع نفسه، ص9.

[4] وقد تجلت مظاهر هذا النشاط في إقامة حوارات دينية متعددة المواضيع والمستويات والأهداف، في شتى أنحاء العالم، وقد أفضت إلى تأسيس العديد من المؤسسات والمنظمات، ومنها مؤسسة المجمع العامي للكنائس، ومنظمة " المؤتمر العالمي للدين والسلام " (المرجع نفسه، ص 10)

قرن من الزمن على تاريخ انعقاده الأول، سنة 1993م، ولم تمض سنوات ست أي سنة 1999م، حتى انعقد المؤتمر الثالث بمدينة كاب تاون بجنوب إفريقيا، وانعقد المؤتمر الرابع في مدينة برشالونا في اسبانيا سنة 2004م.

وقد تفرّد المؤتمر الثاني ل " برلمان أديان العالم " بإصدار بيان متميز تحت اسم " **إعلان من أجل أخلاق عالمية** " وكان منظموا هذا المؤتمر الثاني قد عهدوا إلى العالم اللاهوتي هانس كينج، أن يضع مسودة هذا الإعلان، لكونه اشتغل بذات الموضوع ونشره، قبل انعقاد المؤتمر بسنتين، في كتابه " مشروع الأخلاق العالمية ".

وقد ضاعف **هانس كينج** مجهوده بعد أن تبنى المؤتمر مشروعه، فتوالت محاضراته ومقالاته وكتبه، موضحة معالم المشروع وأهدافه وآفاقه[1]

وقد كان للإعلان الذي تولى كينغ تحريره أثره البالغ في تشجيع التوجه إلى تأسيس أخلاقيات عالمية بحيث تولى صدور تقريرات ونداءات تدخل في هذا المضمار. [2]

ثانيا : مشروع الأخلاق العالمية

أسهم **هانس كينج** في وضع أسس مشروع أسماه "**الأخلاق العالمية**" وهو محاولة منه لشرح ما يمكن أن تجتمع عليه الأديان، بدلا مما قد يفرقها، وحاول في هذا المشروع صياغة الحد الأدنى من القوانين السلوكية التي يمكن أن تتقبلها جميع الأديان، وقد أُدمج مشروعه هذا في الحوار بين الحضارات التابع للأمم المتحدة كما سبق وذكرنا.

وقد حاول كينج من خلال مؤلفاته العديدة، التأكيد على ضرورة الحوار لترسيخ السلام بين الأديان، كما أكّد على أن جميع الأديان والمعتقدات تحتوي على مجموعة من القيم الأخلاقية المشتركة، وهذه القيم قادرة على بناء أرضية الحوار الإيجابي والفعال بين البشر على اختلاف أصنافهم وألوانهم. والقدرة على الحوار

---

[1] ومن بينها كتبه التالية، والتي ألف بعضها بالاشتراك مع غيره، بيان من أجل الأخلاق العالمية 1993م، ونَعَم للأخلاق العالمية 1995م، الأخلاق العالمية للسياسة والاقتصاد العالميين 1997م، والعلم والأخلاق العالمية1998م، ولم الأخلاق العالمية؟ الدين والأخلاق في زمن العولمة 2002م .

[2] المرجع نفسه، ص 10 – 11

هي فضيلة الاستعداد للسلام، فهي فضيلة إنسانية في العمق، ففي كل مرة يتوقف الحوار، تستعر الحرب، فالحوار يُقصي البندقية.

ف**لا سلام بين الأمم من دون سلام بين الديانات، ولا سلام بين الديانات من دون حوار بين الديانات، ولا حوار بين الديانات من دون بحث لاهوتي أساسي.** [1] والحل لا يكون " في خلق ديانة موحدة أو عالمية كما سعى إلى ذلك قبل تُونبي، الفيلسوف الأمريكي ويليم إهوكينغ، وكما سعى إلى ذلك عبثا في الهند سوامي فيفيكاناندا في برلمان الديانات في شيكاغو عام 1893م، وبعده سرفيبالي رادها كريشنان، بل علينا أن نسهم في إحلال السلام بين الديانات، وخصوصا بين الديانات النبوية المتخاصمة منذ زمن طويل، أي اليهودية والمسيحية والإسلام". [2] بل يكون بإيجاد حد أدنى من الأخلاق الجامعة، تساعد على إيجاد معايير للحياة، والأخلاق موجودة في كل التقاليد الإنسانية على اختلافها، فلسنا في حاجة لإعادة اختراعها وإيجادها، لكن يمكننا ممارسة القراءة العميقة لتقاليدنا الإنسانية القديمة[3] يقول كينغ: " أليس من الممكن، إذا انطلقنا جميعا من الإنسانية المشتركة بين كل البشر، أن نصوغ مقياسا أخلاقيا عالميا أساسيّا، مقياسا مسكونيّا يرتكز على الإنسان، الإنسان الحقيقي، أي على كرامة الإنسان والقيم الأساسية الناتجة عنها؟ فالسؤال الجوهري في بحثنا في المقاييس الأخلاقية، يصاغ على النحو التالي: ما هو الأمر الجيد للإنسان؟ على هذا السؤال نُجيب: كلّ ما يساعده على أن يكون حقا إنسانا، وهذا ليس أمرا بديهيا"[4]

ويرى كينج أن الاختلافات الجوهرية بين الأديان هي في الحقيقة تشير إلى معايير أخلاقية واحدة، ولتأكيد فكرته الخاصة بالأخلاق العولمية، يرى كينج أنه بالرغم من الاختلافات العميقة التي نجدها في الأديان، إلا أنه هناك معايير أخلاقية واحدة بشكل أساسي، فما نجده في الكتاب المقدس اليهودي "الوصايا العشر"، هو

---

[1] هانس كينغ: **مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي**، عربه عن الألمانية: جوزيف معلوف، ط1، (لبنان: المكتبة البولسية – دار صادر- ، 1998م) ، ص 213 – 213 .

[2] المصدر نفسه، ص 254.

[3] Denis Müller : **La théologie et l'éthique dans l'espace public**, (LIT Verlag Münster, 2012), p72

[4] هانس كينغ: المصدر السابق، ص190.

نفسه ما نجده في القرآن، وما نجده من وصايا مماثلة في التراثين: الهندي والصيني، ويرى أن الأخلاق العولمية هي عولمية تاريخا –أيضا– ، مما يعني أننا لسنا في حاجة لأن نعيد اختراع تلك الأخلاق.[1]

ويؤكد كينج أن هناك أربعة توجيهات موجودة في التقاليد المختلفة، الأول هو التوجيه القديم بعدم القتل: لا للقتل العمدي، لا تعذب، لا تصب أحدًا بجروح، والثاني: لا تسرق أو تستغل أو ترتشِ، أو تفسد، والثالث: وهو يعد أمرًا هامًا بشكل خاص للسياسيين، ألا نكذب، ألا نخدع، ألا نزيف، ألا نتلاعب، وأخيرًا: ألا تستغل جنسيًا، لا تغش، لا تذل، لا تهن، بصورة أخرى "أن يحترم ويحب كل منا الآخر".[2]

وبإمكان الديانات أن تقدم للبشر **قاعدة أخلاقية سامية** تشكل مبدأ أساسيا، يمكن أن نسميها القاعدة الذهبية " Golden Regel " وهي ليست قاعدة افتراضية أو شرطية، بل قاعدة مطلقة وغير مشروطة، قابلة للتطبيق في الحالات المعقدة جدا، بحيث ينبغي على الأفراد والجماعات أن يتعاطوها.[3]

ثالثا: الأخلاق العالمية ضرورة معاصرة

يرى كينج ضرورة وجود أخلاق عولمية، فكما نحن بحاجة إلى عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا والاتصالات، فنحن في أمس الحاجة إلى عولمة الأخلاق. فينبغي للأخلاق التي كانت لها في عصر الحداثة شأنا خاصا، أن تضحي من جديد في عصر ما بعد الحداثة مطلبا مشتركا ورئيسيا من أجل سعادة البشر واستمرارية الإنسانية.[4]

فدول العالم الثالث لها أنظمتها الاقتصادية والتشريعية، إلا أنها لا تسير أبدا من دون توافق أخلاقي، ومن دون أخلاقية مواطنيها، فتلك الأخلاق هي التي تعطي الحق لحياة الدولة الديموقراطية، حتى المجتمع الدولي العالمي تمكن من إيجاد بنى تشريعية تتخطى حدوده القومية والثقافيّة والدينية.[5]

---

[1] Causse Jean-Daniel, Muller Denis : **Introduction à l'éthique– Penser**, **croire**, **agir** (Genève : Labor et Fides, 2009) , p 60-61

[2] **هانس كينغ:** مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي ، **ص 108**

[3] هانس كينغ: **مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي**، ص111.

[4] المصدر نفسه، ص70

[5] المصدر نفسه ، ص 73

ويؤكد كينج على أن القواعد الأخلاقية والقيم والأحكام والمفاهيم الكبرى الواقعية في الديانات الكبرى هي ناتج سيرورة ديناميكية اجتماعية جد معقدة، حسب ما تبينه الأبحاث التاريخية، وقد فرضت نفسها من خلال ضرورات الحياة والحاجات الإنسانية، وهذا يعني أنه ينبغي للبشر أن يخوضوا القواعد والحلول الأخلاقية للتجربة من خلال المخططات والنماذج، " وينبغي أن نبحث عن حلول متمايزة للمسائل والصراعات في الواقع اليومي وأن نضعها في حيز التنفيذ. فسواء أكان البشر يهودا أم مسيحيين أم مسلمين، أم أتباعا لديانة هندية أم صينية أم يابانية، فهم مسؤولون عن تطبيق قيمهم الأخلاقية في الواقع." [1]

ويعتقد كينج أن عداء شديدا يسود المجتمع الدولي، ويجب علينا بناء جسور المحبة ونبذ الكراهية والانتقام، وهذا عن طريق ترسيخ الحوار، ورغم الاختلافات الموجودة بين الأديان الثلاثة الكبرى، ، فإن هناك ثوابت أخلاقية تسهل منهج الحوار .[2]

ويؤكد على أنه لن تكون هناك استمرارية للإنسانية بدون تحالف بين المؤمنين وغير المؤمنين، (المؤمنون بإله واحد، والملحدون واللاأدريون)، من أجل ضرورة أخلاق عالمية مشتركة. فخطر فقدان المعنى والقيم والقواعد الأخلاقية يهدد المؤمنين وغير المؤمنين على السواء، كما أن الديموقراطية لا يمكنها أن تبرر وجودها من دون توافق أخلاقي مسبق، خصوصا في بعض القيم الأخلاقية والمواقف الجوهرية، فلا وجود لحياة مشتركة جديرة بالإنسان من دون توافق أخلاقي جوهري. ويلح هانس كينج على ضرورة السلام الداخلي لحل الصراعات الاجتماعية من دون اللجوء إلى العنف، ولا نظام اقتصادي وتشريعي من دون إرادة مشتركة تحترم الأنظمة والقوانين، ولا وجود للمؤسسات من دون اتفاق مواطنيها.[3]

ومن خلال ما تقدم نجد أن هانس كينج يؤكد على ضرورة السلام بين الحضارات الذي لن يكون بدون سلام بين الأديان، كما أن السلام بين الأديان لن يكون بدون حوار بين الأديان، ولا يمكن أن يكون هناك نظام عالمي جديد بدون أخلاق عالمية مشتركة، تتسع برحابتها لكل الثقافات والأديان، وتوحد البشر جميعا تحت مظلة الإنسانية، فلا يمكن للمجتمع الإنساني أن يستمر بدون الأخلاق العالمية.

---

[1] المصدر نفسه، ص 94-95

[2] **Denis Müller** : La théologie et l'éthique dans l'espace public, (**LIT Verlag Münster**, **2012**), **p72**

[3] هانس كينغ: **مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي**، ص 80

لقد تعرض مشروع هانس كينج للكثير من النقد، استنادا إلى كون الحوار عاجز على حل الصراعات الداخلية داخل الدين الواحد، فالصراع الكاثوليكي البروتستانتي ما فتئ يتأجج في وقتنا المعاصر هذا في الجانب المسيحي، أما الجانب الإسلامي فالخلافات العقدية وحتى السياسية بين السنة والشيعة لا شك فيها، فلا يمكن أن يكون هناك حوار خارجي ما لم يتحقق داخليا في كل منظومة دينية. والحقيقة أن هذا الكلام يلامس الحقيقة، لكن مشروع هانس كينج حاول أن يجمع الأديان تحت مظلة أخلاق عالمية، وعالمنا المعاصر في أمس الحاجة لقيم جامعة، تجعل الإنسانية جواز مرور في العالم بأسره. تضمن كرامة الإنسان، وتصون حقه في الحياة.

خاتمة :

ويمكن القول أن الأطروحات المعاصرة في اللاهوت المسيحي أحدثت نوعا من الانفتاح على الآخر، وأسهمت في ترسيخ منهج الحوار وتفعيله. فلم يعد الخلاص مقتصرا على الاعتراف بالمسيح مخلصا، حسب جون هيك، فكل ديانة تضمن الخلاص لمعتنقيها، إنّ تقبل الآخر والاعتراف بالتعددية الدينية، قد أحدث ثورة على المبادئ التقليدية الكلاسيكية للكنيسة، وأخرجها من أسوار الخصوصية الكونية عن طريق الخلاص المسيحاني، إلى الانفتاح وتقبل الأديان الأخرى.

وقد كان لهانس كينغ دورا فاعلا في في وضع أسس مشروعه الموسوم ب"**الأخلاق العالمية**" وقد حاول من خلاله شرح الأسس التي يمكن أن تجتمع عليها الأديان، وقد صاغ في هذا المشروع حدا الأدنى من القوانين السلوكية التي يمكن أن تتقبلها جميع الأديان.

ويمكن القول أن اللاهوت المسيحي المعاصر، تبنى أطرحات مختلفة عن النظرة الكلاسيكية المغلقة على الذات المسيحية، المحتكرة للحقيقة، والتي جسدت أعنف صور الاحتكار في القرون الوسطى، بما فرضته على من قيود على العقل باستعمال وسائل لا إنسانية. وقد أصبح اللاهوت المسيحي المعاصر في بعض أطروحاته ينشد أنسنة الإنسان، كما أصبح يدرك أن هذا المسعى في عصرنا هذا هو مؤتَلف حضارة الشرق والغرب، والبوتقة الوحيدة التي ينصهر فيها مسعى البشر في حل أزماتهم المعيشية ومجابهاتهم الاجتماعية، وصراعاتهم الفكرية، ولوأن لكل حضارة منها من الخصوصية في نشدان سعادة البشر.

ويبقى أن نحاول كمسلمين أن نتعرف على الأطروحات الجديدة في اللاهوت المسيحي المعاصر، ونحاول أن ندرسها بما يتواءم مع قيمنا وأصولنا الدينية، فنركز على المفاهيم الجامعة، لننطلق منها كمنفذ لفتح باب الحوار الإنساني الفاعل، والذي لا يفقدنا خصوصيتنا، ولا يجعلنا طرفا افتراضيا في حوار الأقوى.